

في التاريخ السياسي

الدبلوماسية الأوربية

في طورها الجديد

بقلم باحث دبلوماسي كبير

اجتازت الدبلوماسية الأوربية منذ نهاية الحرب الكبرى ثلاث مراحل : الأولى مرحلة التصفية وهي التي شغلت فيها الأمم الظافرة والمهزومة معا بتصفية التركة الفادحة التي خلفتها الحرب ، واحتملت الدول المهزومة معظم تبعاتها وأعبائها . والثانية يمكن تسميتها بمرحلة عصبة الأمم ولوكارنو ، وهي المرحلة التي اشتد فيها ساعد العصبة بموازرة الدول الظافرة وانضمام ألمانيا المهزومة إليها لأول مرة بعد أن قامت بتأدية معظم الاعباء والمغارم التي فرضت في معاهدة الصلح ؛ وفي أثنائها أيضا تقدمت فكرة السلامة المشتركة تقدما عظيما ، فعقد ميثاق لوكارنو لتأمين سلامة حدود الرين بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا ، وعقد مؤتمر نزع السلاح واستمر حينما يباشر أعماله ، وعقد ميثاق تحريم الحرب الذي اقترحه أمريكا على دول العالم ، وقد استمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٩٣٢ . والمرحلة الثالثة ، مرحلة السياسة القومية العنيفة ، وعود الدبلوماسية الأوربية إلى أساليبها القديمة من عقد المحالفات والمواثيق العسكرية الظاهرة والخفية ، وتكوين الجبهات الخفية ، والتسابق في التسليح ، وهذه هي المرحلة التي تجتازها أوروبا اليوم .

ولا شك أن هذه المرحلة هي أخطر وأدق مرحلة انتهت إليها الدبلوماسية الأوربية منذ عقدت معاهدة الصلح (معاهدة فرساي) ولا شك أيضا أنها تسير بأوروبا إلى موطن الفصل وتنقسم أوروبا اليوم إلى معسكرين واضحين هما معسكر الدول الفاشستية التي تتخذ شعارها القومية المتطرفة والعسكرية المتوثبة والتسليح الشامل ، وقوام هذه الكتلة إيطاليا الفاشستية

وألمانيا النازية . ومعسكر الدول الديمقراطية إذا صح التعبير ، وشعارها السلام المسلح ، والاستعداد لدفع الاعتداء الذي قد يقع عليها من الدول الفاشستية ، وقوام هذه الكتلة انكلترا وفرنسا وتوازيهما روسيا السوفيتية .

وهذا التطور الحاسم في سير الدبلوماسية الأوربية ، وتحولها من ميدان التعاون السلي الذي عملت فيه من قبل إلى ميدان التنازع والخصومة المسلحة يرجع قبل كل شيء إلى عنف الفاشستية الإيطالية والألمانية وإلى شهواتها وأطماعها المغرقة وإلى اعتدادها بالقوة المادية العاشمة ؛ بيد أن الفاشستية تلتقي التبعة في ذلك على الدول الديمقراطية وعلى ما أبدته من الأثرة في استخلاص المغنم الاستعمارية والاقتصادية لنفسها دون إيطاليا وألمانيا ، ودفعهما بهذا التصرف إلى خطة العنف واليأس التي تلجأ إليها

وتستقبل الدبلوماسية الأوربية عهدها الجديد بسلسلة من الاحداث والظواهر الجديدة ؛ أولها وأهمها انهيار ميثاق لوكارنو نهائيا ، بعد أن نقضته ألمانيا من جانبها في العام الماضي ؛ وانحلال التحالف الصغير في شرق أوروبا بمقد الميثاق الإيطالي اليوجوسلافي ؛ وتوثق العلاقات بين السياستين الفرنسية والبريطانية ؛ وتطور العلاقات بين تركيا وروسيا السوفيتية ، وتقدمها في الوقت نفسه بين تركيا وإيطاليا وتقوية الجبهة الإيطالية الألمانية واشتداد ضغطها في وسط أوروبا وفي شرقها وقد كان عقد الميثاق الفرنسي الروسي في أوائل العام الماضي أول نذير بانهار الأوضاع القائمة ، ففي ٧ مارس سنة ١٩٣٦ ، أعلنت ألمانيا نقضها لآخر الشروط العسكرية التي فرضت عليها في معاهدة الصلح وهي الخاصة بتجريد منطقة الرين من التسليحات والتحصينات ، وأعلنت في نفس الوقت نقضها لميثاق لوكارنو ، بحجة أن الميثاق الفرنسي الروسي قد عقد بقصد تهديدها وتطويقها وأن عقده مخالف لما كفلته نصوص ميثاق لوكارنو من سلامة الحدود الألمانية الفرنسية على الرين ؛ وكان تصرف ألمانيا ضربة قاضية لهذا الميثاق الذي علقت عليه أوروبا والعالم كله يوم عقده أعظم الآمال ، ولم تلبث بلجيكا وهي إحدى الدول الموقعة عليه ، والتي تستمد

فوق ذلك أن تباعد بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا التي تربطها بروسيا علاقات وثيقة . ومن جهة أخرى فإن التحالف الصغير المكون من تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا قد تصدعت أسسه من جراء التقرب بين يوجوسلافيا وإيطاليا وارتباطهما بميثاق صداقة وتفاهم ؛ وهذا الميثاق الجديد فضلا عن كونه يطفئ حدة التنافس بين الدولتين ، يمهّد لنفوذ إيطاليا في البلقان ؛ وهنا تصطدم جهود السياسة الفاشستية والسياسة النازية ، ذلك أن ألمانيا تريد أيضاً أن تتمكن لنفوذها في البلقان ، وإن تستأنف زحفه القديم نحو الشرق ؛ ولكن إيطاليا استطاعت أن تسبقها في هذا الميدان على مايلوح ، وذلك بعقد الميثاق اليوجوسلافي ، والتقرب إلى تركيا الكيالية تقريباً ربما أسفر في القريب العاجل عن عقد ميثاق بين الدولتين ؛ كذلك تتوعد إيطاليا إلى اليونان وتعمل على توثيق العلاقات معها وهكذا تنشط السياسة الفاشستية للعمل السريع الحاسم في حوض الدانوب وفي شرق أوروبا ؛ وتعمل السياسة النازية من جانبها ، في نفس الميدان ، في الحدود التي خصصت لنفوذها فيما يسمونه «محور برلين روم» ، وتعمل بالاختصاص في المجر ورومانيا ، هذا عدا محاولاتها في النمسا ؛ وترى إيطاليا بهذه الجهود الدبلوماسية المتواصلة إلى تأمين مكائنها وسلامها في شرق البحر الأبيض المتوسط لكي تنفرغ إلى العمل في هذا البحر ، ضد بريطانيا العظمى وضد ما تدعيه لنفسها فيه من السيادة البحرية ، ولتحقق ما تزعمه لنفسها من الاطّاع الاستعمارية ؛ وترى ألمانيا النازية بالعمل في شرق أوروبا وفي البلقان إلى تكوين جبهة موحدة ضد روسيا السوفيتية يد أنه يشك كثيراً فيما إذا كانت ألمانيا تفيد من هذه الجهود ضد المارد الروسي العظيم

ويجب أخيراً ألا ننسى المشكلة الأسبانية الشائكة ، وما كان لها من أثر في هذا التطور الجديد في سير الدبلوماسية الأوربية ؛ وسيكون لنتائج الحرب الأهلية الأسبانية متى استقرت نهائياً أثرها العميق أيضاً في توجيه الأوضاع السياسية الجديدة في غرب أوروبا

سلامة حدودها من نصوصه ، أن رأت أيضاً أن تحرر من تبعاته ، فأعلنت سياسة الاستقلال والحياد الجديدة التي انتهت أخيراً بصدور تصريح بريطاني فرنسي يحررها من تبعاتها المترتبة عليها في ميثاق لوكارنو ، مع استبقاء تعهد فرنسا وبريطانيا من جانبهما بالدفاع عن البلجيك في حالة الاعتداء عليها ؛ وهكذا انهارت دعائم هذا الميثاق الذي كان دعامة السلام في غرب أوروبا ، وحلت مكانه حالة جديدة لم يتضح مداها بعد ؛ على أن هنالك حقيقة لا ريب فيها ، هو أن ، انهيار ميثاق لوكارنو ، وما اقترن به من مضاعفة التسليح الألماني ، وتقدم التفاهم بين ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشستية كان عاملاً في إذكاء استعدادات فرنسا وبريطانيا العسكرية ، وفي توثيق العلاقات بينهما

وكان للسألة الحبشية أثرها القوي في التقرب بين إيطاليا وألمانيا ، وتوجيه الأوضاع الجديدة للدبلوماسية الأوربية ، فقد رأت إيطاليا بعد الذي لقيته أثناء اعتدائها على الحبشة من خصومة بريطانيا ، أن تنسلخ نهائياً عن كتلة الدول الغربية ، وأن تتقرب إلى ألمانيا النازية التي تؤمن بمثل مبادئها العسكرية العنيفة ، والتي أيدتها وآزرتها خلال الأزمة الحبشية لأنها تجيش بمثل مطامعها الاستعمارية . وقد أثمر هذا التقرب بين الدولتين الفاشستيتين ثمرته في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ؛ وتبدو نتائج هذا التطور واضحة في موقف إيطاليا نحو النمسا ومسألة انضمامها إلى ألمانيا (الآنشولوس) ، فقبل التقرب الألماني الإيطالي ، كانت إيطاليا تعارض هذا الانضمام بكل قوتها ، وتعلن أنها مستعدة لتأييد الاستقلال النمساوي بالقوة المادية إذا اقتضى الأمر ، وما زلنا نذكر موقفها في سنة ١٩٣٤ حينما وقعت الثورة النازية في النمسا ، فقد حشدت بعض قواتها على الحدود النمساوية استعداداً لمقاومة أي حركة تقوم بها ألمانيا في سبيل الاستيلاء على النمسا . أما اليوم فإن السياسة الإيطالية حسبما تبين من مباحثات الدكتور شوشنج المستشار النمساوي والسياسي الموسوعي ، لا تريد أن تذهب في سبيل تأييد النمسا إلى هذا الحد ، خصوصاً وأنها ترى مسألة الضم إلى ألمانيا بعيدة الحدوث في الوقت الحاضر ؛ وتحاول السياسة الإيطالية

في الأدب المقارن

الخيال

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

الخيال، أو القدرة على انتزاع شتى الصور الذهنية من الواقع واستحضارها والتصرف فيها، من المواهب التي يمتاز بها الانسان على سائر الاحياء، ويمتاز بها النابغة على سائر الناس. رقى العلم رهين برقيه، واتساع الادب متصل باتساعه، وهو بين الجماعات الاولى مصدر تلك الاساطير والافهام التي تسود بينهم، كما أنه مصدر ما تنص به اللغات من مجازات وتشبيهات، بها تنسج جوانب اللغة وجوانب التفكير معا أيما اتساع، ولولا الخيال لالتزم الفكر الانساني الواقع المتحجر أي التزام

والخيال قوام جانب عظيم من الادب، إن لم يكن قوام الجانب الارقي فيه، إن لم يكن قوام الادب جميعاً: فبالمجازات والتشبيهات يتأني للأديب أن يصور شعوره ويبرز تفكيره، إذ يمثل لنضرة الخلد بنضرة الورد، ولطامة البطل بهيئة الأسد، ولجيشان المعركة بدافع الآذى، وهلم جرا. وبالخيال يستطيع الأديب أن يسبك موضوعه ويجمع أطرافه، وينبذ ما لا حاجة به إليه من تفصيلات قد تشوه ما هو بسيله، ويضفي ثوباً من الجمال والانسجام على ما ينشئ. والخيال أظهر ملكات الشاعر وأول مميزات الشعر التي تفرق بينه وبين النثر

وارتقاء الخيال واتساعه وكثرة آثاره أم ظواهر دخول الادب في طوره الفنى: فانه إذا خرجت الأمة من بدائتها وعزلتها وبسطت سيادتها واتصلت بحيرانها القريين والبعدين، وتحضرت وتفتت، اتسعت أذهان أبنائها وترامى خيالهم وتصوروا من الحقائق والمعاني والممكنات ما لم يكونوا يتصورون، وغزر المعين الذي يستمدون منه التشبيهات والاستعارات، ويتزعمون منه الحكم والأمثال، ويتوفر الفراغ ويتسع للجهود الأدبي المتصل، فنظير القصة والدرامة والقصيدة الطويلة، ويخلق الأدباء في أجزاز الخيال وآماد الماضي والمستقبل، مبتعدين عن دواعي الحاضر الحازية ومجالاته الضيقة، ولا يبلغ الادب أوج رقيه

وقد أدركت الدولتان الغريبتان الكبيرتان، أعنى بريطانيا العظمى وفرنسا، ما تقتضيه هذه العوامل والظروف الجديدة من تغيير عميق في سياستيهما، وخصوصاً آراء ما تبديه الدولتان الفاشستيتان أعنى ايطاليا وألمانيا من نشاط متواصل في الاستعدادات العسكرية؛ فاما فرنسا فقد اقتنعت بأن الموائيق والعهود الدولية لم تبق لها قيمة يعتمد عليها وان ألمانيا النازية بعد أن حطمت كل ما تبقى من عهودها في معاهدة الصلح وفي لوكارنو، وأخذت تستأنف قواها العسكرية القديمة، لا يمكن ردها وكبح جماح عدوانها وأطماعها الا بمضاعفة الالهات العسكرية، وهذا ما تفعله اليوم هي وحليفتها روسيا السوفيتية التي تحذر من عدوان ألمانيا مثل ما تحذر فرنسا؛ واما بريطانيا العظمى، فقد اقتنعت بعد مأساة الحبشة بانتهار فكرة السلامة المشتركة وعبث الاعتماد عليها في رد الاعتداء المدبر، وأدركت ما يهدد سلامة الامبراطورية البريطانية من جراء ظهور الفاشستية الايطالية بمظهر الظافر المتحفر؛ فاخذت تستدرك بسرعة مدهشة ما فاتتها من الالهات العسكرية، ووضعت برنامجاً هائلاً للتسليح يكفل لها تفوقها القديم في البحر والهواء ويمكنها من أن تعود فتعلى كلمتها وارادتها على أولئك الذين يتحرشون بها ويحاولون تحديها ومنافستها، وتزداد العلاقات توثقاً بين الدولتين الغريبتين الكبيرتين، يجمع بينهما الخطر المشترك، والمصالح المشتركة، وروابط الديمقراطية

وهكذا تعود أوربا الى ما كانت عليه قبل الحرب: معسكران خصيمان يعمل كل منهما لاحراز التفوق في الالهات العسكرية، ويسيطر كل منهما بنفوذه على عدد من الدول الصغيرة؛ وهذان هما معسكر الفاشستية، تقوده ألمانيا وايطاليا، ومعسكر الديمقراطية تقوده بريطانيا وفرنسا؛ وهكذا تعود الدبلوماسية الاوربية الى وسائلها القديمة من عقد المحادثات العسكرية والمعاهدات السرية والاعتماد على القوة الغاشمة